

أعمال السلطان الأشرف قايتباي الخيرية (901-872هـ / 1468-1496 م)

Sultan Al-Ashraf Qāyibāy and his Charity Works (1468-1496 M/ 872-901 H)

د/ عبد العزيز بن فايز بن حسن القبلي * Dr. Abdulaziz Fayez Hassan Alqabli

جامعة الملك سعود- King Saud University

aalqabli@ksu.edu.sa

History of the article/معلومات المقال		
القبول للنشر/ Published	المراجعة/ Accepted	الإرسال/ Received
2019/06/30	2019/02/26	2019/01/28

ملخص:

البحث دراسة تاريخية عن أعمال البر والخير التي قام بها السلطان قايتباي في الفترة من 872-901هـ/1468-1496م في كل من مصر، بلاد الشام، والحجاز، والدوافع السياسية، الاقتصادية، والدينية لتلك الأعمال. كذلك دلالاتها السياسية والاقتصادية وآثارها على العامة والمجتمع والتي من خلالها يمكن فهم أوضاع العامة المعيشية وتأثير الأزمات الاقتصادية والوبائية على حياتهم اليومية، كذلك فهم علاقة السلطان قايتباي مع الرعية. تبين دراسة أعمال السلطان الخيرية أهميتها في الجانب الديني من خلال المحافظة على تلك المنشآت وبناء البعض منها استكمالاً للحركة الدينية والثقافية التي بدأت مبكراً في العصر المملوكي. كذلك توضح الدراسة اهتمامه الشخصي بالمنشآت الدينية من موقعه حاكماً ومسؤولاً عن الرعية. أخيراً، تبين الدراسة دور تلك الأعمال الخيرية في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي من خلال الصدقات والزكاة على الأراذل والأيتام والمساكين.

الكلمات المفتاحية: الأعمال الخيرية، الصدقات، السلطان قايتباي، المنشآت الدينية، التبرعات، الفقر، ارتفاع الأسعار، انتشار الجوع، الفقراء والمساكين.

Abstract:

This article deals with historical study for charity and righteousness works done by the Sultan Qāyṭibāy in the period of 1468-1496 M/ 872-901 H in both Egypt, Syria, and Hijaz. It explores political, economic, and religious motives for those works. Also, the political and economic connotations of these works and their impact on the public and society, which through we can understand the public living conditions and the impact of economic and epidemic crises on their daily lives. As well as understanding the Sultan Qāyṭibāy's relationship with the public. Examining Sultan Qāyṭibāy's charity works shows their importance in the religious aspect by preserving these facilities and building some of them to complement the religious and cultural movement that started early in the Mamluk era. The study also shows Qāyṭibāy's personal interest in religious establishments as a ruler and responsible for the public in the Islamic society. Finally, the study shows the role of these charity works in achieving the principle of social solidarity through the spread of righteousness and alms on widows, orphans and the poor.

Key words: Charity and righteousness works, sultan Qāyṭibāy, religious buildings, alms, poverty, rising prices, and the spread of hunger

المقدمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أهم الأعمال الخيرية للسلطان قايتباي 872-901 هـ وأثرها على العامة والمجتمع. كذلك يستكشف البحث مدلولات هذه الأعمال السياسية والاقتصادية، وما تعبر عنه من أحوال العامة والفقراء. وكذلك أهداف السلطان قايتباي من وراء هذه الأعمال والمؤثرات التي أسهمت في انتشار هذه الأعمال أو اختفائها في أوقات أخرى. كانت أعمال الخير والبر تكمن في تبرعات نقدية بالأموال على الفقراء، وبناء أوقاف للفقراء، والتبرع بالمرزوعات من قمح وغيره، كذلك إنشاء المباني الدينية والمرافق للعامة وترميمها لتعم فائدتها لجميع شرائح المجتمع وتحديدًا الفقراء والمحتاجين منهم.

وقد اهتمت الدراسات التي تناولت فترة السلطان قايتباي بالنواحي السياسية، العسكرية، والاقتصادية¹، دون الاهتمام بالنواحي الخيرية والاجتماعية التي قام بها السلطان. لاسيما أعماله الخيرية في مصر والحرمين الشريفين وبلاد الشام، والتي عبرت عن شخصية السلطان في تلك الفترة واهتماماته في الجانب الإنساني وحرصه على توطيد العلاقة مع العامة. وربما يرجع

ذلك إلى الأحداث السياسية والعسكرية الاقتصادية التي انعكست سلباً على المجتمع المملوكي جراء تلك الأزمات، وأسهمت في انتشار أعمال الخير، وهو ما دفعنا إلى دراسة هذه الأعمال الخيرية (أسبابها وتأثيراتها)، معتمداً في ذلك على ماورد عنها في المصادر التاريخية المعاصرة لفترة السلطان قايتباي².

تضمن البحث عدد من المباحث وخاتمة، ثم قائمة بأهم المصادر. شملت المباحث أولاً التعريف بشخصية السلطان الأشرف قايتباي، ثانياً مشكلة نقص القمح وغلاء اسعاره ودوره في تفعيل الجانب الخيري لدى السلطان تجاه العامة، ثالثاً اهتمام السلطان بالحرمين الشريفين وأهم التبرعات والصدقات والأعمال الخيرية التي أنفقها في تلك النواحي، رابعاً مشاركة العامة والتي كانت ضمن أهم أعمال السلطان لتفقد أحوال الرعية والتصدق عليهم والاهتمام بشؤونهم، خامساً التبرع على الفقراء والذي عد سمة من سمات السلطان خصوصاً في رحلاته الخارجية، سادساً أعمال السلطان الخيرية في شهر رمضان مع العامة والفقهاء، سابعاً اهتمام السلطان الشخصي بالمنشآت الدينية وتبرعاته لترميم وإنشاء وصيانته تلك المنشآت، ثامناً اسهام السلطان في انشاء أوقاف للفقراء والمساكين، تاسعاً ازدياد اعمال البر والخير في حالات مرض السلطان للتقرب من الله وكسب دعاء العامة له، عاشراً السلطان وعمله الخيري في ابطال بعض المكوس عن العامة لمساعدتهم وتخفيف اعباء الحياة اليومية عليهم.

وحقيقة الأمر فإن السلاطين المماليك (932-648هـ/1250-1517م) عملوا على تدعيم الجانب الخيري في المجتمعات والقيام بأعمال خيرية متفاوتة في فترات متقطعة³. شملت أعمال السلاطين جوانب البر والمنشآت والصدقات في جميع المدن⁴. وبعد السلطان قايتباي استمرت أعمال الخير بقدر أقل من السلاطين اللاحقين نظراً للظروف السياسية والاقتصادية المتردية والتي نتجت عن ضعف الدولة وسقوطها عام 923هـ⁵.

كانت أعمال السلاطين المماليك الخيرية في مصر، وبلاد الشام، والحرمين الشريفين، ويظهر ذلك جلياً من خلال تبرعاتهم المالية لترميم أو إنشاء العماائر والمنشآت الدينية والخيرية⁶. شملت تلك المنشآت المدارس، الأربطة، البيمارستانات، الأسبله، عيون المياه، والمطاهر، وغير ذلك من المنشآت⁷. وعندما تولى السلطان قايتباي الحكم عام 872هـ التزم الطريقة التي سار

عليها السلاطين السابقون، وعمل على تطوير بعض تلك المنشآت وإضافة منشآت جديدة⁸. كذلك أسهم السلطان في حل بعض الأزمات الاقتصادية ومعالجة الفقر من خلال الإسهام في بناء أوقاف للفقراء والتبرع للعمامة ومحاربة ارتفاع الأسعار⁹.

1- السلطان قايتباي:

هو الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر قايتباي الظاهري المحمودي، جركسي الجنس¹⁰، جلبه إلى مصر الخوارجا محمود بن رستم لذلك لقب بالمحمودي نسبة لجلبه. لاحقاً اشتراه الملك الأشرف برسباي¹¹ هو وعدة ممالك صغار لذلك لقب بالأشرفي، ثم اشتراه الظاهر جقمق¹² فأعتقه لذلك لقب بالظاهري¹³. ولد السلطان الأشرف قايتباي بالقفجاق على نهر الفولجا ما بين سنة (818-821 هـ / 1416-1418 م)¹⁴. قدم قايتباي إلى مصر عام (839 هـ / 1435 م) ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة، وعند وصوله اشتراه السلطان برسباي، ثم أنزل بالطباق من القلعة، وصار من الممالك الكتانية، فاستمر كتابياً مدة سلطنة الأشرف برسباي وابنه العزيز يوسف¹⁵، ولما عزل العزيز يوسف اشتراه الظاهر جقمق واستمر في رق الظاهر جقمق، حتى أعتقه وأرج له خيلاً وقماشاً وصار جمداراً ثم خاصكياً¹⁶. تولى مناصب إمرة عشرة ودوادار صغير في عهد الأشرف إينال¹⁷. لاحقاً في عهد الظاهر خشقدم¹⁸، أنعم عليه السلطان بأمره طبلخاناه، ثم جعله بعد ذلك في مرتبة الشرايخانة¹⁹. في عام 868 هـ / 1462 م عُيِّن قايتباي في مقدمة ألف بالديار المصرية. استمر الأمير قايتباي في الترتي بالسلك المملوكي، حيث جعله الظاهر يلبي²⁰ رأس نوب النوب، وعندما تولى الظاهر تمرغا²¹ عينه أتابك العساكر²². أخيراً تولى قايتباي السلطنة بعد عزل الظاهر تمرغا عام 872 هـ، وبويع بالسلطنة يوم السادس من رجب عام 872 هـ / 1468 م وتوفي يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة عام 901 هـ / 1496 م، فكانت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوماً²³. يمثل السلطان قايتباي الخامس عشر من سلاطين الدولة الجركسية، ومن القلائل الذين حكموا تلك المدة الطويلة²⁴. أيضاً كان قايتباي آخر سلطان مملوكي أدى فريضة الحج وذلك في عام 884 هـ، حيث لم يتمكن السلاطين الذين تولوا بعده من تأدية فريضة الحج²⁵.

2- أزمة القمح:

شهد عام 872هـ العديد من الاضطرابات السياسية وانتقل الحكم بين أربعة سلاطين الظاهر خشقدم، المؤيد لبلي، الظاهر تمرغا، والظاهر قايتباي. بالإضافة إلى اشتداد التمردات في مصر وسوريا²⁶ من قبل شاه سوار²⁷ في سوريا والقبائل العربية في مصر. وهذه الظروف السياسية والاقتصادية أثرت تأثيراً كبيراً على تراجع الموارد المالية، ومن ثم تأثيرها المباشر على العامة والمؤن²⁸. ووصف ابن إياس عام 872هـ بأنه كان مليئاً بالفتن والقلق السياسية لدرجة أنه أصبح من الصعب كتابة تلك الفتن وتسجيلها من كثرة أعدادها²⁹. كانت أولى أعمال السلطان قايتباي الخيرية في عام 872هـ عندما شهدت أسواق القاهرة زيادة ملحوظة في أسعار القمح، وصلت إلى سبعمائة درهم لكل أردب؛ ما أدى إلى ضغوط مالية على العامة غير القادرين على شراء القمح بتلك الأسعار³⁰. ذكر ابن إياس أنه في شوال من عام 872هـ حصل غلو في الأسعار في القاهرة، ما أدى إلى غضب العامة من السلطان. وصف ابن إياس المشهد كالتالي: "وفي شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة، وتشحطت الغلال وارتفع سعرها، فستكعب الناس بالسلطان، وصار إذا شق من القاهرة يسمعه الكلام المنكى"³¹. وكان ارتفاع سعر الغلال مرتبطاً بارتفاع أسعار الأقوات الأخرى، والذي استمر عدة سنوات وأثر سلباً على عدد من العامة في تلك السنة³². تسببت موجة غلاء الأسعار في القاهرة إلى موت عدد من العامة جوعاً بسبب عدم مقدرتهم على شراء احتياجاتهم التموينية جراء غلاء الأسعار³³.

ونتيجة لهذا التذمر من العامة، أمر السلطان، في ردة فعل لهذا الغلاء ولغضب العامة، بأن تفتح الأشوان الخاصة به، ويبيع القمح منها بأقل من سبعمائة درهم للإردب، وكانت هذه الأسعار أقل من أسعار السوق المرتفعة³⁴. كان سعر الإردب من القمح قد وصل إلى ألف درهم وأرفع من ذلك³⁵. وبذلك حُلّت مشكلة غلاء الأسعار لسلمة مهمة كالقمح، ما إلى أدى امتصاص غضب العامة، خصوصاً في ظل التوترات الداخلية والخارجية التي أشرنا إليها مبكراً في سوريا ومصر. وهذا الفعل يعد خطوة مهمة واستراتيجية من قبل قايتباي لحفظ مكانته بين العامة والدعاء له وعدم إثارة الرأي العام ضده. أيضاً، حرص السلطان على ابتداء عهده بأعمال خيرية للرفق بالعامة وتلبية مطالبهم المالية³⁶. ذكر الحنفي أن سياسة السلطان قايتباي في فتح شون

القمح الخاصة به قد انعكس إيجاباً على أحوال العامة بقوله و"حصل النفع بهذا البيع وبعض رفق".³⁷ يذكر أن أمر السلطان بفتح الشون الخاصة به كان في عيد الأضحى، حيث أراد السلطان التخفيف على العامة في هذا الموسم العظيم تقرباً لله وإدخال السرور على العامة.³⁸ وأعمال السلطان الخيرية ودوره في تخفيض أسعار القمح، والتصدي لارتفاع أسعاره، لم تكن موجهة فقط لأسواق القاهرة؛ إذ وردت الأخبار من دمياط بأن أسعار الغلال ارتفعت هناك أيضاً، وتسببت في انتشار الجوع بين العامة، فأمر السلطان بإرسال ألف أردب من القمح لتباع بأسعار زهيدة هناك، من أجل التخفيف على العامة وتخفيض الأسعار في تلك النواحي. ودليلاً على غلاء أسعار الغلال هناك، وصلت أخبار بأن السلطان الاسبق تمرغاً والذي نفى في دمياط قد عانى من ارتفاع أسعار الغلال أيضاً، وهو في سعة من أمره هناك. وتسبب عمل السلطان الخيري في دمياط على ضبط الأسعار، وحصل توسع للناس بعد ضيق في الشراء والأسعار.³⁹

ونظراً لوقوع الطاعون في مصر عامي 873هـ و874هـ، انتشرت المجاعة بين العامة، ومات الكثير من الناس؛ ما أدى إلى ارتفاع القمح والسلع مرة أخرى في عام 874هـ.⁴⁰ كان ارتفاع القمح مبالغاً فيه ووصل إلى أربعين ديناراً لغرارة القمح.⁴¹ أيضاً ذكر الصيرفي بأن أردب القمح قد وصل إلى ألف وثلثمائة درهم.⁴² أمر السلطان بفتح شونتين من شون القمح الخاصة به مرة أخرى عام 874هـ وبيع القمح بسعر ألف درهم لكل أردب، حيث وصل سعر الأردب في السوق إلى أربعة أشرفيات.⁴³ توافد العامة سريعاً إلى الأسواق لشراء القمح "وابتاعوا ودعوا للسلطان، فتيسر الحال قليلاً، وصار رطل الخبز بستة دراهم، وكان قد وصل إلى تسعة للرطل، ووصل الإردب من الشعير إلى تسعمائة درهم، فبيع في هذا اليوم دون الستمائة".⁴⁴ وبذلك حصل للعامة بعض الرفق وكثر الخبز في الدكاكين مرة أخرى. كان أمر السلطان بفتح الشون في رمضان؛ لكي يكسب ود العامة ويقدم أفعالاً خيرية في شهر رمضان.⁴⁵ ذكر الحنفي أن قرار السلطان بفتح الشون كان له دور مهم في خفض أسعار الخبز من تسع نفقات لرطل الخبز إلى ست نفقات، وسعر الشعير من تسعمائة للإردب إلى ستمائة. وبذلك يقول "فمشت عలాة الناس بذلك وحصل بعض الرفق، ومشى الحال... وكان هذا فاتحة للرخاء، والله الحمد".⁴⁶

ولكن لابد أن نقف عند أمر السلطان لفتح الشون مرة أخرى لحل أزمة ارتفاع الأسعار والتخفيف على العامة. كانت هذه السياسات مؤقتة لحل مشكلة سرعان ما تعود بعد قليل، والملاحظ أن السلطان أمر بفتح الشون لخفض الأسعار للمرة الأولى عام 872هـ ومن الفترة 872 إلى 874هـ حدث ارتفاع لأسعار القمح أكثر من مرتين من دون تدخل من قبل السلطان لحل أزمة ارتفاع الأسعار⁴⁷. ذكر الصيرفي في أحداث عام 874هـ أن غلاء الأسعار في الغلال استمر بمصر والقاهرة نحو ثلاث سنوات متتالية⁴⁸. المرة الأولى لارتفاع أسعار القمح كانت في صفر من عام 873هـ حيث ارتفعت أسعار الغلال، وبدأ الناس في شراء القمح خوفاً من انقطاعه من السوق⁴⁹. والحادثة الثانية، في جمادى الآخرة من عام 873هـ، ارتفع سعر الغلال واشتد الغلاء على الناس. وفي المرة الثالثة ارتفع سعر الغلال في ربيع الآخر من عام 874هـ. وفي جميع حالات الارتفاع لم يأمر السلطان بأية إجراءات لخفض أسعار القمح أو التخفيف على العامة⁵⁰.

ومن هنا نستطيع القول بأن أعمال السلطان الخيرية للتخفيف على العامة لم تكن أعمالاً تلقائية من نفسه، ولكنها أعمال خير جاءت ردة فعل لبعض الأزمات من أجل عدم إثارة الرأي العام، وإرضاء العامة مؤقتاً من دون حلول جذرية طويلة المدى لهذه الأزمات. على سبيل المثال، كان سبب ارتفاع أسعار القمح في رمضان من عام 874هـ هو سياسة الأمير يشبك من مهدي 51، الداودار⁵². والذي أمر في رجب من عام 874هـ بتحكيك الغلال في الوجه القبلي وأمر بمنع المراكب من تحميله إلى القاهرة؛ ما أسهم في ارتفاع أسعار القمح في القاهرة⁵³. ارتبط الأمير يشبك بعلاقته قوية مع السلطان وكان بمنزلة مدبر مملكته، لذلك لم تشر المصادر إلى تدخل السلطان لمنع الأمير يشبك من الاستمرار في سياسة حكر القمح، وبدلاً من ذلك أمر في رمضان بفتح الشون الخاصة به وبيع القمح بأقل من سعر السوق لحل أزمة ارتفاع الأسعار⁵⁴. صورت المصادر فعل السلطان من فتح شونه الخاصة وبيع القمح بأقل من سعر السوق على أنه عمل خيري منه للتخفيف على العامة والرفق بهم. ومن خلال سياق الأحداث نرى أن أفعال السلطان الخيرية كانت لحل أزمات مالية تسبب بها أمراؤه، وبدلاً من محاسبة المسؤولين عن تلك الأزمات، اكتفى بفتح شون القمح الخاصة به وبيعه بأسعار أقل. كذلك في عام 877هـ أمر

السلطان بفتح شون القمح الخاصة به والمناداة ببيعه في السوق على ألا يزيد عن دينار للأردب من القمح. كان السبب وراء هذا العمل هو انقطاع القمح من الأسواق وندرته في تلك الأيام. ولعل السبب وراء انقطاع القمح هو تجهيز الجيش المملوكي بقيادة يشبك من مهدي لقيادة حملة عسكرية ضد حسن الطويل⁵⁵ في بلاد الشام⁵⁶. ومن المعروف أن الفترة التي تسبق انطلاق الحملة العسكرية من القاهرة تشهد فوضى وشح في المؤن والخيول والمياه في القاهرة بسبب تزود الجنود والأمراء بتلك المؤن. ومن هنا نلاحظ أن السلطان يأمر بفتح الشون، وتحديد أسعار القمح في فترة مهمة واكبت انطلاق الجيش لمحاربة حسن الطويل، وذلك من أجل القرب لله وفعل الخير والتقرب للعامة في سبيل نصرة الجيش وحفظ الأمن فكان للدواعي العسكرية والشخصية دور كبير في تحفيز السلطان على فعل الخير وقت الأزمات.

عادت أزمة ارتفاع أسعار الغلال وفقدان الخبز من الأسواق مرة أخرى عام 890هـ، ووصلت أسعار رطل الخبز إلى ثلاثة دراهم وأربعة وزيادة. تسببت هذه الأزمة في توقف أحوال السوق وتضايق العامة وبداية شكواهم للمحتسب والسلطان. كان رد فعل السلطان على أزمة ارتفاع أسعار الغلال سريعاً، حيث أمر بفحص جميع مخازن الغلال ومعرفة أصحابها في خطوة أولى، تتبعها خطوة ثانية تكمن في تحديد أسعار أردب القمح بخمسائة للإردب الواحد، ومن امتنع عن هذا الفعل وعن الالتزام بهذا السعر من التجار يفتح مخزنه، ويبيع محصوله بالقوة للعامة بنفس الأسعار المحددة⁵⁷. هذا الفعل كان مختلفاً عن تعامل السلطان مع أزمات الغلال السابقة من ناحية الشروع في حلول عملية وتحديد الأسعار، وإجبار التجار على هذه الأسعار بدلاً من فتح شون السلطان الخاصة لحل الأزمة مؤقتاً من دون النظر إلى مسببات هذه الأزمة، والتي كانت تكمن عادة في طمع التجار احتكارهم للغلال.

عادت أزمة ارتفاع أسعار القمح والغلاء في أسواق القاهرة مرة أخرى في عام 892هـ. حيث شهد هذا العام ارتفاعاً عاماً في أسعار السلع، وانقطاعاً للخبز وغلاء في الأسعار، وكان السبب في ذلك فرض النقود الجديدة على العامة للتعامل بها، والتي تسببت في ارتفاع الأسعار⁵⁸. هذا الارتفاع في الأسعار تسبب بدوره في انتشار المجاعات وموت الكثير من الفقراء من شدة الجوع. لذلك بادر السلطان عام 892هـ إلى فتح عدد من الشون التابعة له، وباع القمح بخمسة

أشرفيات لكل أردب؛ ما أسهم في التخفيف على الفقراء والعامّة وخفض أسعار القمح من جديد⁵⁹. وأوامر السلطان الخيرية هنا لدعم الفقراء كانت ردة فعل على الفساد الإداري والاقتصادي في أسواق القاهرة والسياسة المالية الظالمة التي أقرت نقوداً جديدة وتسببت في انخفاض قيمة النقود القديمة؛ ما زاد من أسعار السلع، نرى أن عمل السلطان الخيري تسبب في انخفاض سعر القمح إلى أربعة دنائير لإردب القمح بعد أن كان بستة أشرفيات، حيث كثر جلب الذرة إلى القاهرة وعم الرفق على العامة من جراء عمل السلطان ودعمه للأسواق بقمحه⁶⁰.

3- الاهتمام بالحرمين الشريفين:

اهتمام السلطان قايتباي بالأعمال الخيرية لم يكن منصباً داخل مصر فقط، بل شمل نطاق أعماله الخيرية الحرمين الشريفين في الحجاز. بدأ السلطان عهده بإجراء عين إلى عرفات لخدمة ضيوف الحرمين الشريفين والحجاج⁶¹. كانت هذه العين لا تعمل لمدة تزيد عن مائة عام⁶²، فأمر السلطان عام 874هـ بإصلاحها لكي يسهل نقل مائها إلى عرفات، ما كان له نفع لضيوف الرحمن وسكان مكة⁶³. أمر السلطان بندب شاد جدة الأمير شاهين الجمالي⁶⁴ وكلفه بالإشراف على عمارة عين عرفة⁶⁵. استمر العمل في إنجاز مشروع العين إلى عام 875هـ ما يقارب العام⁶⁶. ذكر الحنفي في ذلك "وفيه، في هذه الأيام، ورد الخبر من مكة المشرفة بأن العين التي تسبب السلطان في إجرائها إلى عرفات قد انتهت ووصل مأوها إلى الجبل، وملئ منه بركتين عظيمتين هناك وحصل بهما النفع العام"⁶⁷. ومن هنا يتضح جلياً أهمية تلك الأعمال الخيرية وفائدتها على العامة والحجاج وسرعة تنفيذ تلك الأعمال ابتغاء مرضاة الله. ولا سيما بعد أن علمنا أن تلك العين ظلت معطلة عن العمل لمدة تزيد عن المائة عام ما تسبب في ضرر على الحجاج وعامة مكة. ومن هنا أتى اهتمام السلطان في ترميم وإصلاح المنشآت القديمة، ذكر عاشور بأن السلطان قايتباي كان حريص على "ترميم وإصلاح المنشئة التي أقامها أسلافه"⁶⁸. ومن أعمال السلطان الخيرية في مكة، عمارته ظلالاً للحجيج في مسجد نمرة في مكة المكرمة عام 874هـ من أجل توفير ظلال للحجيج. أيضاً ترميم قبة عرفة وإصلاحها وتبييض سلالم مزدلفة⁶⁹. كذلك تجديد المنبر في مسجد نمرة، والذي تم تجديده على أعلى مستوى، حيث قال السخاوي في هذا المنبر "خطب فيها على المنبر الهائل الذي جدده السلطان، وهو في

غاية الحسن" ⁷⁰. وهذا يدل على الإبداع في العمل، وعدم التفاني في إنفاق أموال على أعمال خيرية لخدمة ضيوف الرحمن. كان الانتهاء من الترميمات في شعبان من عام 874هـ ⁷¹. مكانة مكة المكرمة وحجاج العالم الإسلامي جعلت مسؤولي الدولة وخصوصاً قايتباي على أتم الاستعداد على تجهيز السبل والتسهيلات كافة لحجاج بيت الله. كانت هذه الأعمال الخيرية جزءاً من هذه التسهيلات خصوصاً كونها حدثت في ابتداء عهد السلطان قايتباي ورغبته في التقرب إلى الله وابتداء عهده بإعمال خيرية في بيت الله تعالى.

استكمالاً لدور السلطان في الاهتمام بالمنشآت الدينية وترميمها، أمر عام 875هـ بإعادة أعمار مسجد نمرة ومسجد الحيف بمكة ⁷². كان هذا العمل بعد الانتهاء من حفر العين وتوصيلها إلى جبل عرفات، جميع تلك الأعمال كانت مهمة، ودلت على نية السلطان الصادقة للمحافظة على المعالم الدينية وصيانتها، في ذلك يقول الصيرفي "وكم مضى من الملوك السالفة ولم يلهموا لفعل هذا الصنيع الحسن" ⁷³. والمقصود به أعمال السلطان الخيرية في مكة والمدينة.

وفي سبيل نشر العلم وازدهار الحوكة الأدبية في المدينة المنورة، أمر السلطان عام 883هـ ببناء مدرسة باسمه بالمدينة بجانب الحرم الشريف بين بابي الرحمة والسلام ⁷⁴. كلف السلطان الخواج شمس الدين بن الزمن ⁷⁵ بالإشراف على أعمال بناء وإتمام المشروع ⁷⁶. تم الانتهاء من بناء المدرسة في عام 885هـ بعد أن وضع فيها جميع احتياجات طلبة العلم ⁷⁷ أعمال السلطان الخيرية شملت المباني الدينية كالمساجد والسبل، وكذلك التبرع لبناء المدارس ودعم الحياة العلمية خارج مصر. هذا الأمر يأتي من ضمن اهتمامه الشخصي بالحرمين الشريفين ومكانة المدينة العلمية منارة علم مهمة للعلماء وطلاب العلم.

لاحقاً في عام 886هـ وقعت صاعقة على المسجد الشريف النبوي تسببت في احتراق المنارة، ⁷⁸ وسقوف المسجد والمنبر والأعمدة والأبواب ⁷⁹. فأمر السلطان بالتبرع بمبلغ مائة ألف دينار من أجل تجديد عمارة المسجد النبوي ⁸⁰. كذلك أمر الخواج شمس الدين بن الزمن بالتوجه إلى المدينة للبدء في أعمال التجديد ومعه البنائين والنجارين والمرممين ⁸¹. كذلك أرسل السلطان أدوات عمارة المسجد النبوي وترميمه من القاهرة، ومعهم الصناع والعمال وكانوا في قافلة كبيرة شملت مائتين وخمسين رجلاً ⁸². انتهى العمل من تجديد المسجد النبوي ترميمه في عام 887هـ

حيث استغرقت أعمال التجديد قرابة العام⁸³. ذكر ابن الحمصي بأن أعمال إعادة ترميم وعمارة المسجد النبوي بعد الحريق كانت عظيمة كانت من مال السلطان الخاص⁸⁴. سرعة ردة فعل السلطان وأمره بتجهيز المبلغ للتبرع به لأعمال التجديد في المسجد، ودل الانتهاء من أعمال البناء في مدة عام على اهتمام السلطان بال الحرمين الشريفين، ودوره الكبير في استمرار أعمال الخير على المنشآت الدينية. أمر آخر دل على رغبة السلطان في استمرار أعمال الخير في مصر وخارج مصر كان ما تعانيه الخزانة المملوكية من عجز مالي في عام 885 و 886هـ بسبب تجهيز الحملات العسكرية إلى سوريا من أجل رد اعتداءات التركمان والقبائل العربية. أرسل السلطان حملتين عسكريتين إلى سوريا بقيادة شبك من مهدي والثانية بقيادة أزيك بن ططخ⁸⁵. ومن المعروف أن تلك الحملات العسكرية كلفت الخزانة أموالاً طائلة لتجهيز العسكر وصرف النفقات على الأمراء والجنود. لكن هذه الأزمة المالية لم تثن السلطان عن التبرع لتجديد المسجد النبوي⁸⁶.

ومن اهتمام السلطان بالحرمين الشريفين، وتحديدًا المدينة المنورة، أمر عام 887هـ بإنشاء مدرسة⁸⁷ مطلة على الحرم النبوي⁸⁸. كان الانتهاء من بناء مدرسة السلطان قايتباي عام 888هـ والتي اشتملت على سبيل ماء⁸⁹. كان هذا العمل جزءاً من أفعاله الخيرية لدعم الطلاب والحياة العلمية في المدينة المنورة⁹⁰. كذلك أمر السلطان عام 888هـ بإصلاح عين قديمة في قباء والتي كانت بالقرب من مسجد الفتح. وصف السخاوي الذي كان مجاوراً في المدينة المنورة أن هذه العين بعد إصلاحها "حصل بها خير كثير"⁹¹ يظهر من خلال أعمال السلطان الخيرية في مكة والمدينة حرص السلطان على التبرع وإنفاق الأموال الخيرية في إصلاح وتطوير مصادر المياه هناك، وتوفيرها للفقراء والمساكين. وهذا يدل على الأزمة التي كانت تعيشها مكة والمدينة من شح المياه بسبب انقطاع مياه الأمطار وانتشار الأوبئة والطواعين⁹². خصوصاً في ظل ازدياد أعداد المجاورين لمكة والزوار لبيت الله الحرام والحجاج وأهل مكة المستقرين فيها. نلاحظ وصف السخاوي لفرح أهالي مكة والمجاورين هناك عندما اكتمل عمل توصيل الماء من عين أبي رخم إلى بازان، حيث حصل للمجاورين السرور نظراً لشح موارد المياه وحاجتهم لتوفرها⁹³. من جهة أخرى، تبين من مشاريع السلطان الخيرية في الترميمات وإصلاح مصادر المياه في الحرمين الشريفين على التقصير

والإهمال من قبل السلاطين السابقين في الفترة المملوكية وعدم اهتمامهم ومتابعتهم المستمرة لأعمال الترميم والتجديد لتلك الأعمال.

نرى أن ثلاثة أعمال خيرية متتالية كانت في المدينة بعد رحلة السلطان إلى الحج عام 884هـ⁹⁴ وزيارته للمدينة⁹⁵، حيث أمر السلطان بالتبرع بأموال على الفقراء بمقدار خمسة آلاف دينار عام 884هـ وأمر بإنشاء أوقاف ثابتة للفقراء عام 885هـ والتبرع بمبلغ ستين ألف دينار في سبيل إنشاء تلك الأوقاف، والعمل الثالث كان أمره ببناء المدرسة في الحرم النبوي عام 887هـ. كانت هذه الأعمال الثلاثة مباشرة بعد رحلته للحج عام 884هـ ومشاهدته العينية للأوضاع في المدينة وحاجة المدينة إلى الدعم المالي للفقراء والطلاب. ومن هنا يتضح أن أغلب أعمال السلطان الخيرية كانت تنفذ أو يأمر بها بعد مشاهدة السلطان بنفسه للأوضاع وأدراكه أهمية تلك الأعمال، ما يثير سؤالاً مهماً عن دور الأمراء والولاة والعلماء المغيب في تلك الفترة، وأدوارهم في نقل معاناة العامة، واحتياجهم لمثل أعمال الخير هذه للسلطان من أجل تنفيذها. لم تكن هناك مشاهدات واضحة في المصادر عن دور المحيطين بالسلطان في حثه على عمل الخير، واقتصرت أغلب أعمال السلطان الخيرية من خلال مشاهداته العينية بنفسه.

كان السلطان حريصاً على الاهتمام بالمسجد النبوي والحجرة النبوية من خلال أمره بصنع مقصورة حديد صنعت خصيصاً للحجرة الشريفة في المسجد النبوي عام 888هـ. كذلك أمره بكتابة مصحف كبير⁹⁶ وإرساله إلى المسجد النبوي⁹⁷. كانت المقصورة بديعه الصنع، وبلغ وزنها ثمانمائة قنطار من الحديد وحملت إلى المدينة المشرفة على سبعين جملاً نظير كبر حجمها ووزنها⁹⁸.

لم يكتف السلطان بأفعال الخير والصدقات على أهالي المدينة في عام 888هـ، حيث كان حريصاً مع كل حملة حج على إرسال تبرعات وأعمال خيرية تصل إلى أهالي المدينة. ففي عام 889هـ أمر السلطان أبو البقا بن الجيعان⁹⁹ بمرافقة حج ذلك العام بسبب الأشراف على توزيع الأطعمة المصنوعة من القمح على فقراء المدينة. ذكر ابن إياس أن السلطان أمر أبا البقا بن الجيعان بالتوجه إلى المدينة "بسبب ما رتبته السلطان في المدينة الشريفة من أمر تفرقة الدشيشة التي رتبها هناك"¹⁰⁰.

4- مشاركة العامة:

ومن مآثر السلطان وأفعاله الخيرية في القاهرة عام 876هـ، أنه كان بموكب ذاهباً إلى خليج الزعفران مع أمرائه ومماليكه للتنزه وفي الحسينية صادف جنازة لامرأة غريبة ليس معها أناس سوى من يحمل النعش؛ لذا قرر السلطان النزول عن فرسه مع أمرائه والصلاة عليها وقد كان هو الإمام في الصلاة¹⁰¹. أراد السلطان بهذا العمل التحجب إلى العامة وكسب الأجر، خصوصاً إذا ما أدركنا استمرار الطوائع والفقر في مصر في تلك السنة. أيضاً، توتر الأوضاع السياسية والعسكرية في الجبهة الشمالية مع شاه سوار الذي نجح في هزيمة الجيش المملوكي. لذا نرى أعمال الخير والتخفيف على العامة سواء بمشاركتهم أحزانهم أو تخفيض أسعار القمح كان بهدف التقرب لله بتلك الأفعال لحصول النصر في الشام، وإعادة الأمن والاستقرار من جديد. من جهة أخرى، أصيب السلطان بكسر في ساقه عام 876هـ وبدأ يتعافى تدريجياً من ذلك الكسر، لذلك لربما كان فعله في الالتحاق بالجنازة والصلاة عليها رغبة منه في التقرب من الله لإكمال شفائه¹⁰². لذلك نرى ابن إياس يوصف فعل السلطان من النوادر التي حدثت من السلاطين المماليك ما يدل على عدم انتشار ظاهرة مشاركة العامة أحزانهم ويعزز فكرة رغبة السلطان في رفع البلاء عن الأمة والانتصار وشفائه من كسر ساقه¹⁰³.

كذلك نراه في العام 876هـ نفسه وهو عائد مع أمرائه من زيارة خليج الزعفران يقابل شيخاً كبيراً ركباً حماراً ومحملاً بطيخاً. فسأله السلطان عن حاله، فأخبره الشيخ بضيق الحال، وأن الحمار عاجز عن حمل البطيخ، فأمر السلطان بإعطائه خمسة دنانير لكي يشتري بهيمة أخرى يستعين بها على حمل بضاعته. نرى أن الصيرفي وصف السلطان بعدله ولطفه بالعامة وعلى الضعيف والفقير والمحتاج، ويجعل هذه المواقف من محاسن السلطان ومآثره القيمة¹⁰⁴. ومع كون المبلغ قليلاً ولكن ما يهمننا هو موقف السلطان وتقربه من الفقراء والسؤال عن أحوالهم ومحاولة الشعور بمتاعبهم والتبرع لهم.

5- التبرع للفقراء:

لم تكن أفعال السلطان الخيرية تقتصر على اتخاذ بعض الإجراءات الإدارية للتخفيف على العامة كما حدث مع أزمة ارتفاع أسعار القمح. بل نرى السلطان قايتباي يفرق الأموال

على الفقراء والمحتاجين وأصحاب الديون؛ ففي عام 876هـ¹⁰⁵. قدر عدد الأموال التي تبرع بها السلطان للفقراء في ذلك العام حوالي الثمانمائة دينار¹⁰⁶. لعل هذه الأفعال الخيرية والتبرعات بالأموال على الفقراء في القاهرة ارتبطت بالأخبار السارة التي قدمت من سوريا بانتصار الجيش المملوكي على شاه سوار وحصاره في قلعة زمنطوا عام 876هـ¹⁰⁷. لذا شعر السلطان بالسعادة ورغب في توزيع بعض الصدقات على الفقراء شكراً وحمداً لله على هذا الانتصار وحفظ الأمن من جديد. دل هذا على الرابطة الدينية القوية للسلطان، وإدراكه بأن الظلم وانتشار الفقر بين العامة سيكون سبباً في خذلان الجيش وهزيمتهم. لذلك نرى السلطان يبادر في كل خروج أو نزهة له خارج القلعة إلى التقرب للعامة والتبرع بالأموال رغبة في تطهير النفس والتخفيف من الظلم على بعض العامة وتفريج هموم قدر المستطاع. وفي نفس السياق علق الصيرفي على فعل السلطان الخيري وتفريقه للأموال على الفقراء في الاصطبل السلطاني بأنه كانت عادة من قبل السلطان في كل موكب من مواكبه يتبرع للفقراء، وفي ذلك يقول بأن العامة من الفقراء "كانوا يصعدون إلى السلطان في كل موكب من مراكب حكمه... وقد رأيت بعض الفقراء ممن حضر التفرقة وذكر أن حصل له تسعة أنصاف وقبل أكثر، فإله يتقبل منه قبولاً حسناً جميلاً".¹⁰⁸ ما يدل على أن صدقات السلطان كانت مستمرة معظم أوقات حكمه وفي أغلب مراكبه خارج القلعة وعمت الكثير من الفقراء وكان أثرها ملحوظاً في القاهرة.

في عام 876هـ بعد شفاء السلطان من مرضه وكعادة السلطان في رحلاته الداخلية وتفقدته المدن والمشروعات التي أمر بها¹⁰⁹. ذهب السلطان إلى جامع عمرو بن العاص وتصدق على عدد من المجاورين في الجامع. ذكر الصيرفي في وصف عمل السلطان وصدقته على المحتاجين بأن السلطان "ركب وكشف الجامع بنفسه وتصدق على جماعة من المجاورين به... فتقبل الله منه قبولاً جميلاً ونصره نصراً عزيزاً"¹¹⁰. دل هذا النص على الأعمال الجليلة التي قدمتها أيدي السلطان الخيرية أينما حل وعطفه على العامة والمحتاجين والذي كان جزءاً من صورة التكافل الاجتماعي والديني الذي شرعه الدين الإسلامي. من جهة أخرى لم يكتف السلطان بتفريق أموال الصدقات على الفقراء والمحتاجين فقط، بل شملت أعماله الخيرية لفئات أخرى من المجتمع وهم العلماء وأهل الصلاح. في عام 876هـ أمر السلطان بتوزيع ألف دينار على العلماء

والصالحين من أهل القاهرة أمثال شيخ الإسلام محيي الدين الكافيجي¹¹¹ والشيخ سراج الدين العبادي¹¹² والشيخ زكريا وأهل القرافة وغيرهم الكثير¹¹³. نلاحظ من تلك التبرعات العلاقة الوطيدة التي جمعت بين السلطة السياسية ممثلة بالسلطان رأس السلطة والسلطة الدينية ممثلة بالعلماء والفقهاء. حرص السلطان في فترة عهده على توطيد علاقته مع رجال الدين والتقرب منهم والاستماع على مشورتهم دائماً، وكان عمل السلطان السابق جزءاً من رغبته تحسين أحوال تلك الفئة ومنعهم من السؤال لدورهم في المجتمع وحظوتهم لدى السلطة في تلك الفترة.

في نفس العام 876هـ أمر السلطان بصرف مائة دينار صدقة لعائلة نجار، كان يعمل في القلعة، وسقط أثناء عمله هناك، ومات جراء السقوط، فأمر السلطان، عندما سمع قصته وأن أولاده من دون عائل، بصرف تلك الصدقة له من أجل أن يشتري أبناءه بعض الدور أو المحلات لتكون مصدر رزق لهم. كذلك تصدق بثوب بعلبكي للميت كفناً له وثلاثة دنانير يجهز بها¹¹⁴. احتسب السلطان أن وفاة النجار حادث عمل يستوجب تعويض ورثته بأموال وإكرام دفنه. ولعل هذا الفعل مثل التضامن الاجتماعي بين الحاكم ورعيته، واستمرار السلطان على مد يد الخير كلما سنحت له الفرصة، خصوصاً في هذه الحادثة بسبب وجود أيتام فقراء وضرورة تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي في مصر تلك الفترة¹¹⁵. وتعزيزاً لمبدأ الصدقة على الفقراء أمر كذلك في ذي الحجة من نفس العام بصرف عشرة دنانير وخمسة أراذب قمح لشخص فقير رزق بأربعة أطفال توأم. وذكر ابن إياس أن السلطان قايتباي تعجب عندما رأى الأطفال بين يديه، وأمر على الفور بصرف تلك الصدقات لأبيهم¹¹⁶.

لاحقاً في عام 880هـ زار السلطان مع مجموعة من كبار الأمراء القدس والخليل، وأقام هناك ثلاثة أيام¹¹⁷. وفي أثناء زيارته تصدق بستة آلاف دينار على الفقراء والمساكين¹¹⁸، وأزال ما كان بها من مظالم¹¹⁹. وفي ذلك يذكر الحنفي أن السلطان قد "زار القدس والخليل، وفعل بهما أنواعاً من البر، وتصدق بستة آلاف دينار، وأقام بالبيت المقدس ثلاثة أيام، وجلس به يفصل الحكومات، وأزال عدة مظالم"¹²⁰ موقف السلطان هنا دل على اهتمامه بالعامّة خارج مصر ودوره في التخفيف عنهم، والتبرع بالأموال أثناء زيارته الخارجية المفاجئة.

وفي حادثة غريبة عام 881هـ زار السلطان الجامع الأزهر متذكراً بملابس وبهيئة لا تدل على أنه السلطان. وبادر بالتصدق بالجامع الأزهر من دون أن يشعر به أحد والسؤال عن أحوال العامة¹²¹. رغبة السلطان في تفقد أحوال العامة بنفسه ومن دون إظهار شخصيته دفعته إلى النزول بهذا الشكل للتأكد من أحوال الرعية بنفسه. هذه الحادثة تفسر أيضاً حرص السلطان على التقرب إلى العامة والتصدق عليهم للتخفيف من معاناتهم المالية وشعوره كذلك بمسؤوليته راعياً على الرعية.

لم يخلُ حج السلطان قايتباي عام 884هـ من أعمال التبرع والصدقات على فقراء مكة¹²²، فتصدق السلطان أثناء حجه في تلك السنة بخمسة آلاف دينار، وهو مبلغ كبير جداً إذا ما قورن بالأوضاع الاقتصادية في مصر، وما أصابها من انتشار الطوائع وتغيير العملة الذي أضر بالأوضاع الاقتصادية¹²³. لكن هذه الظروف السيئة في الاقتصاد المملوكي لم تثني السلطان عن فعل الخير والتصدق على الفقراء في هذا الموسم الديني المهم. وقد وصف السخاوي، الذي كان مقيماً بمكة في عام 884هـ وحج في تلك السنة، حج السلطان في تلك السنة، وما فعل من أعمال خيرية، ومن ذلك أن السلطان "تصدق على أهل الحرمين بالكثير.. ورجع بعد ثمانين يوماً وقد ظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ماعد في حسناته"¹²⁴. ولعل السلطان أراد بذلك إظهار سمته التقوى والخير للعامة، لكون هذه أول حجة له، وكذلك يصف ابن إياس رحلة السلطان قايتباي إلى مكة فيقول "كان طول الطريق لا يتكلم في شيء يتعلق بالأحكام بين الناس، وفعل في الطريق أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف"¹²⁵. ومن هنا يتضح أن السلطان استغل رحلاته الخارجية خارج القاهرة من أجل الكشف عن أوضاع الرعية والتبرع بالصدقات عليهم والتخفيف عنهم. تكشف رحلات السلطان إلى الشام والحجاز والمدن المصرية اهتمامه البالغ بالتبرعات للفقراء والاحتكاك بهم والوقوف جلياً على أوضاعهم المعيشية. استكمل السلطان أعماله الخيرية في رحلته للحج عام 884هـ، حيث قدم إلى المدينة المنورة في رحلة رجوعه إلى القاهرة عام 885هـ وأمر بالتصدق كذلك بمبلغ خمسة آلاف دينار على الفقراء¹²⁶. وبذلك يصبح يحمل الصدقات التي أمر بها على الفقراء والمساكين في رحلته للحج في الحجاز عشرة آلاف دينار.

وفي زيارة السلطان لسوق الهرامزة في عام 885هـ صادف رجلاً يشكو له وضعه المالي السيء بعد احتراق محله بجميع ما فيه. وذكر الرجل أن قيمة محتويات المحل المحترقة ما يقارب الألف دينار، وأن عليه ديناً يقارب سبعمائة دينار ولم يعد يملك شيئاً. أمر السلطان بالتبرع لهذا الرجل بمبلغ خمسمائة دينار، يسدد ديونه بثلاثمائة، ويتاجر بالباقي. ذكر الحنفي أن هذه الأعمال الخيرية للسلطان "عدت من محاسن السلطان"¹²⁷. ويستدل بتلك الحادثة على استغلال بعض العامة لمواكب السلطان وزياراته المفاجئة للأسواق والمدن من أجل عرض احتياجاتهم وشكاواهم للسلطان سبيلاً لحل مشاكلهم من قبله.

6- أعمال السلطان الخيرية في شهر رمضان:

بدأ السلطان من عام 876هـ استحداث بعض الأعمال الخيرية تجاه أهالي الفقهاء والعلماء والطلبة وغيرهم والزيادة في رواتبهم في شهر رمضان، وهي ما تسمى بالتوسعة الرمضانية¹²⁸. ذكر ابن إياس أنه في رمضان من عام 876هـ "رسم السلطان للقاضي عبد الغني بن الجيعان بأن يفرق على الفقهاء والعلماء توسعة في رمضان لعيالهم، واستمر ذلك عمالاً في كل شهر رمضان مدة أيام الأشرف قايتباي إلى أن مات، ثم تناقص ذلك من بعده"¹²⁹. والعنصر الجديد في هذا الفعل الخيري هو ارتباطه بأمر إداري طويل المدى لهذه الفئة من المجتمع؛ حيث لم تكن أفعالاً فردية مرتبطة بأحداث خارجية كالحرب والمرض كما حدث في السابق من خفض الأسعار والتبرع بالأموال. ومن هنا نرى اهتمام السلطان بالعلماء وأهاليهم ورغبته في التوسيع عليهم مالياً لأهمية هذه الفئة في المجتمع والسلطة. وأشار نص ابن إياس أعلاه إلى اختفاء هذا العمل من بعد موت السلطان، ما أكد دعم السلطان المباشر لهذا الفعل ورغبته في استمراره، وعجز خلفائه عن استمرار تلك العادة القديمة التي بدأها قايتباي، ما يدل على أن عهد قايتباي كان عهداً فريداً في التعامل مع الفقهاء ودعمهم مالياً ومعنوياً.

واستكمالاً لأعمال السلطان الخيرية في رمضان من عام 879هـ، أمر بصرف سبعمائة دينار للشيخ أمين الدين الآقصرای¹³⁰ وابنه أبي السعود من أجل تجهيزهما للحج. وذلك لأن الشيخ أمين الدين كان كبيراً في السن وبحاجة إلى رعاية خاصة¹³¹. كان تجهيز الحجاج والاهتمام

بتجهيزهم ودعم البعض منهم مالياً عادة من قبل سلاطين وأمراء المماليك من أجل تخفيف أعباء بعض الحجاج.

7- الاهتمام بالمنشآت الدينية والمساجد:

حرص السلطان قايتباي على التبرع بأمواله الخاصة لإجراء إصلاحات على الجوامع وترميم المهذوم منها. أمر السلطان بترميم الجامع الناصري بالقلعة عام 876 هـ. شملت أعمال الترميم توسيع أماكن الوضوء للمصلين وتوصيل المياه إلى الجامع. وقد بلغت تكاليف أعمال ترميم الجامع حوالي ألف دينار¹³². ذكر الصيرفي أن السلطان "رسم - نصره الله - بألف دينار تصرف في عمارة جامع القلعة وأن يوسعوا مطهرته ويجروا له الماء، فجزاه الله خيراً دنيا وأخرى"¹³³ شمل هذا العمل ترميماً وتوسعات في الجامع نفسه؛ لكي يكون مهياً لاستيعاب أكبر عدد من المصلين وكذلك توسيع ملحقات الجامع وتجديدها.

يذكر أن تبرع السلطان بهذه الأموال لأعمال الترميم كانت بعد شفائه من حادثة كسر ساقه، وبداية نزوله إلى المدينة عام 876 هـ¹³⁴. ومن هنا نجد الارتباط ما بين بعض أعمال السلطان الخيرية مع حوادث خارجية أو داخلية شكراً وعرفاناً لله تعالى أو لطلب العون والمساندة في أمر ما. وفي العام 876 هـ نفسه أمر السلطان بإنشاء سبيل في جامع الظاهر جقمق. وفي ذلك ذكر الحنفي، "وفيه ركب السلطان وسار إلى جامع الظاهر وكشف السبيل الذي أنشأه وعاد"¹³⁵ ومن هذا النص يتضح أن السلطان اشتهر بمتابعته شخصياً أوامره الخيرية في إعادة ترميم الجوامع وباقي الأعمال الخيرية، حيث كان جزءاً من رحلاته وخروجه المتكرر من القلعة من أجل الإشراف على تلك الأعمال والكشف عنها. يدل هذا الأمر على رغبة السلطان في إنجاز أعماله الخيرية في أسرع وقت وأتم وجه. هذا ما أكد عليه عبد التواب عندما أشار إلى أن رحلات السلطان المتكررة لم تكن "للنزهة والترويح عن النفس بحسب، بل كان غالبها لتفقد أحوال الدولة المترامية الأطراف... وليباشر العمل فيها بنفسه"¹³⁶.

ومن أعمال السلطان الخيرية في عام 877 هـ غير متعلقة بالجوامع، أنه أمر ببناء حوض وسبيل في القبة التي بناها في المطرية والتي كانت من أوجه البر والإحسان، كان السلطان حرصاً على تفقد هذه المشاريع بنفسه لرؤية مدى تقدم العمل وإنجازه. ومن ذلك ذكر الصيرفي أن

السلطان ركب مع مجموعة من الأمراء من القلعة إلى المطرية للكشف عن أعمال البر والمعروف الذي أمر بها هناك، ونام في القبة تلك الليلة¹³⁷. كذلك نراه يقوم عام 879هـ على إصلاح الأجزاء المهذومة من جامع عمرو بن العاص¹³⁸ وينفق على تلك الترميمات ما يعادل خمسة آلاف دينار¹³⁹. وفي ذلك الشأن أرسل السلطان القاضي الشافعي بأن يتوجه هو ومباشرو الدولة وكذلك البدر بن الكويز كبير المهندسين من أجل الكشف والإشراف على أعمال الترميم¹⁴⁰. هذا المبلغ الكبير دل على حرص السلطان واهتمامه بالمنشآت الدينية وصيانتها بحسبانها جزءاً مهماً من الحضارة الإسلامية في القاهرة. كذلك إرسال عدد من الرجال الثقة كالقاضي الشافعي وكبير المهندسين ومباشري الدولة للإشراف على أعمال الترميم دل على أهمية أعمال الترميم، وحرص السلطان على إتمام العمل على أعلى مستوى من الدقة والإتقان. ولاحقاً في عام 880هـ زار السلطان بيت المقدس مع مجموعة من كبار الأمراء: أزيك بن ططخ، الأتابك ويشبك من مهدي، الدوادار. وفي أثناء الزيارة أمر ببناء جامع وسبيل بالقرين، بعد أن مكث بها عدة أيام وأزال المظالم بها¹⁴¹. أمر السلطان ببناء الجامع والسبيل وهو في طريق عودته إلى القاهرة بعد انتهاء زيارته للقدس ومروره بالعريش¹⁴². لم تخلُ سفرات السلطان وزياراته حتى وهو في طرق السفر من تفقده لأحوال الرعية وإشرافه على المساجد والأسبلة في أي مكان يمر عليه أو يلمحه في سفره. وفي عام 881هـ زار السلطان الجامع الأزهر ومعه كاتب السر وعدد من الأمراء وقضاة القضاة للكشف عن بعض التجاوزات من قبل المستأجرين في سطح الجامع. وقد اتفقوا على أن الإيجار في الجامع لا يحل بغير شروط الواقف. ونتيجة لهذا الأمر حكم القاضي المالكي بهدم جميع المحدثات في الجامع. بعدها أمر السلطان بالتبرع لترميم الجامع بمبلغ عشرة آلاف دينار لإصلاح أعمال الهدم المقررة¹⁴³.

ومن أعمال السلطان الخيرية في القاهرة، أمر عام 882هـ ببناء جامع وسبيل في العباسية جزءاً من أعماله الخيرية المستمرة¹⁴⁴. لم تخل رحلات السلطان الداخلية في مصر أو بلاد الشام من أعمال خيرية كان لها أثر كبير في تقربه إلى العامة والدعاء له. لم يكتفِ السلطان فقط بأمر البناء والنفقة على إنشاء الجامع وسبيل الماء، بل حرص على الإشراف على مراحل البناء. في ذلك الشأن ذكر ابن إياس أن "السلطان توجه ومعه جماعة من الأمراء نحو العباسية والصالحية،

وكشف عن الجامع والسبيل والحوض التي أنشأها هناك، فأقام بالعباسة أياماً، ثم عاد إلى القلعة"¹⁴⁵. هذا النص دل على حرص السلطان على إتمام إنشاء الجامع ومراقبته على أحسن وضع من خلال حرصه ومراقبته لأعمال البناء، ومكوته أياماً في مكان إنشاء الجامع من أجل الاطمئنان على سير العمل. هذا الموقف دل على الاهتمام الديني لدى السلطان، ورغبته في إنجاز العمل بأسرع وقت ممكن¹⁴⁶.

تكشف لنا رحلات السلطان قايتباي المتعددة في مصر على مدى انتشار المنشآت المعمارية والأعمال الخيرية التي أمر بإنشائها كالمساجد والسبيل في عدة أماكن، ففي عام 883هـ رحل السلطان إلى جهة الخطارة للإشراف على الجامع والسبيل اللذين أمر ببنائهما في تلك المنطقة. كلف السلطان الأمير يشبك الجمالي¹⁴⁷ للإشراف على عملية البناء عن قرب؛ حيث كانت هذه المنشآت الخيرية ذوات نفع للعامة¹⁴⁸.

لاحقاً في عام 884هـ أمر السلطان بأن يدفع خمسة عشر ألف دينار لعمارة الجامع الأموي بعد الحريق الذي أصابه¹⁴⁹. ذكر ابن الحمصي بأن السلطان أمر بأن تدفع هذه الأموال من صندوق السلطان الذي بقلعة دمشق والتي كانت كافيه لعمارة الجامع من جديد. يذكر أن الجامع الأموي تعرض لحريق كبير في الجهة الغربية للجامع تسبب في ضرر بسقف الجامع¹⁵⁰. أمر السلطان كذلك بتعيين أيديكي نقيب القلعة أميناً على مصاريف العمارة وبرهان الدين البصروي ومنصور الأسلمي شهوداً ومشرفي على عمارة وترميم الجامع، والمسؤول الأول عن عمارة الجامع الأموي الأمير يشبك¹⁵¹. انتهت عمارة الجامع الأموي في عام 886هـ من أموال السلطان التي أمر بها، حيث علق ابن الحمصي على ذلك بقوله، "والعمل المذكور جميعه من مال السلطان وقد قارب فراغ الخمسة عشر ألف دينار، التي تفضل بها المقام الشريف"¹⁵².

أوامر السلطان بالتكفل بإعادة ترميم وعمارة الجامع الأموي بتلك السرعة دل على أهمية المنشآت الدينية القديمة كالجامع الأموي والأقصى والحرمين الشريفين ورغبة السلطان في الحفاظ عليها وتجديدها لارتباط العامة بتلك الجوامع. من جهة أخرى، كانت أوامر السلطان بالتبرع من صندوقه الخاص بتلك السرعة تدل على رغبته في الحصول على الأجر والثوبة باعتباره وجه من وجوه البر والمعروف. يذكر أن عام 884هـ شهد توترات في سوريا من قبل التركمان

وأمانة الطويل في العراق، مما تسبب في ارسال حملة عسكرية كبيرة بقيادة الأمير يشبك من مهدي الى الرها¹⁵³ وتكلف الخزينة أموال كثيرة لتجهيز الجيش. لذلك نرى أن السلطان أمر بإعادة ترميم الجامع من ماله الخاص نظراً لشح الأموال في القاهرة.

كذلك في عام 886هـ أمر السلطان عند زيارته الروضة بتجديد الجامع الذي هناك من خلال هدمه وتجديده، وكلف لعمارته البصري حسن الطولوني¹⁵⁴. ذكر ابن إياس أن السلطان كان حريصاً على إنجاز بناء الجامع الجديد في الروضة من خلال زيارته الدائمة للموقع¹⁵⁵، وفيه يقول "نزل السلطان وتوجه إلى الروضة، وكشف عن الجامع الذي أنشأه هناك"¹⁵⁶ وبذلك كانت بعض زيارات السلطان ورحلاته للمدن من أجل الإشراف على مراحل البناء، والتأكد من إنجاز المهمات في موعدها. وهذا يدل على حرص السلطان على الإشراف على أعماله الخيرية بنفسه¹⁵⁷. تبرع السلطان بمبلغ ألف وخمسمائة دينار، واكتملت أعمال البناء في العام نفسه، وأقيمت الخطبة فيه من جديد¹⁵⁸. أيضاً في عام 891هـ أمر السلطان بإنشاء أوقاف دائمة للجامع الروضة تشمل بستاناً لكي يكون مردوده للجامع واحتياجاته مستقبلاً¹⁵⁹.

8- أوقاف للفقراء والمساكين:

عمارة السبيل وترميمه كان أمراً مهماً للفقراء والمحتاجين والمسافرين سواء كان في المدن أو ملحقاتها في الجوامع أو على طرق السفر. أمر السلطان عام 874هـ بعمارة سبيل بالقشاشين لكي يكون وقفاً على المارة والفقراء، وصف الحنفي عمارة السلطان للسبيل على أنها "أول عمارة التي من نوع البر والمعروف، وجاء سبيلاً هائلاً حسناً... وحصل به النفع".¹⁶⁰ أنشاء هذا المشروع الخيري مبكراً في عهد السلطان قايتباي عام 874هـ عد من أوائل أعماله الخيرية، والتي توالى فيما بعد في مناطق عدة، ودلت على رغبة السلطان في عمل الخير.

ومن نتائج رحلات السلطان قايتباي الخارجية، وكشفه عن أحوال الرعية عن قرب ومعايشه أحوالهم في رحلته للحج عام 884هـ¹⁶¹. أمر بعد رجوعه للقاهرة عام 885هـ بالتبرع بمبلغ ستين ألف دينار ذهباً لشراء أوقاف دائمة للفقراء في المدينة المنورة تتمثل في قرى، ضياع، ومحلات ليكون ريعها للفقراء والمساكين¹⁶². وتوفير جميع مستلزمات الفقراء من الخبز والزيت وغير ذلك¹⁶³. وكان السلطان قد أمر بالتبرع بتلك الأموال بعد اجتماعه مع القضاة الأربعة

وكبار الأمراء، وتكليفه لقاضي قضاة الشافعية بأن تكون هذه الأموال تحت إدارته وإشرافه. انتهى الاجتماع بالدعاء للسلطان على هذا العمل الخيري المهم والموجه لفئة الفقراء. انتهى عمل أوقاف الفقراء في المدينة عام 888هـ بعد أن أتم السلطان شراء "أملاكاً ورباعاً ورزقاً بنحو المائتي ألف دينار وجعلها وقفاً مبتدئاً على المدينة المشرفة لأنواع بر ووجوه خير" ¹⁶⁴. لم يكنف فقط ببناء هذه الأوقاف بل أصدر أمراً بإبطال جميع المكوس التي بالمدينة الشريفة، وعوض أمير المدينة عن أمر إبطال المكوس بألف إردب من القمح ¹⁶⁵. نجاح فكرة عمل أوقاف للفقراء في المدينة كان واضحاً في نص السخاوي، الذي ذكر أن السلطان عام 888هـ وزع على أهل المدينة والوافدين فيها "أزيد من سبعة آلاف أردب قمح، ليفرق على كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حرهم وعبدهم، ذكرهم وأنثاهم، بالتسوية بينهم، خمسة أمداد كل شهر، ويعمل منه دشيشة في كل يوم للغرباء" ¹⁶⁶. كل هذه الصدقات كانت من ريع أوقاف السلطان في المدينة.

لا بد من التوقف عند تبرع السلطان لشراء أوقاف دائمة للفقراء؛ إذ لم تذكر المصادر بناء السلطان أوقاف دائمة للفقراء في مصر أو الشام، حيث كانت أوقاف المدينة المنورة أولى أوقافه، لعل الحالة الاقتصادية السيئة بالمدينة المنورة وانتشار الفقر لعبا دوراً في تشجيع السلطان على إنشاء وقف ثابت يكون ريعه لصالح تلك الطبقة المعدمة. نلاحظ أن السلطان كان بالعادة يأمر بصدقات مقطوعة تتراوح ما بين الخمسة والعشرة آلاف دينار للفقراء في عدة أماكن كما أشرنا سابقاً، لكنه لم يكتف بإعطاء صدقات نقدية لفقراء المدينة كما فعل مع غيرهم بل أمر ببناء أوقاف ثابتة. ذكر ابن أبياس أن السلطان "رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأقوات، فندر مولانا السلطان في نفسه بأن يفعل بالمدينة المشرفة خيراً يكون مستمراً من بعده" ¹⁶⁷. ومن هذا النص يتبين أن حالة الفقر والمجاعة المنتشرة في المدينة كانت وراء فعل السلطان الخيري بعد مشاهدته العينية لسوء أوضاعهم المادية وحاجتهم الماسة للمؤن المعيشية. وفي ذلك ذكر الحنفي "أن مولانا السلطان لما حج في العام الماضي «أي عام 884 هـ» رأى ما به أهل المدينة المشرفة من الفقر والفاقة والقحط من عدم الأقوات، فأضمر نيته بأن يفعل بها من الخير ما يذكر به ويعم بذلك الناس" ¹⁶⁸.

من جهة أخرى ذكر ابن إياس أن السلطان "قد أخرج هذا المال لله تعالى، وهو من وجه حل من خالص ماله دون مال بيت المسلمين"¹⁶⁹. وهذا يدل عن أن بعض أوامر الصدقات والتبرعات الخيرية السابقة كانت من بيت مال المسلمين وبعضها الآخر كان من المال الخاص بالسلطان، ولكن لم تذكر المصادر معلومات وتفاصيل عن مصادر أموال الصدقات والتبرعات السابقة في عصر قايتباي. وما يهمنا هنا هو فعل السلطان الخيري والذي قصد به الخير الدائم للفقراء، وإسهامه في بناء الوقف من ماله الخاص وتعيين قاضٍ للإشراف المباشر على أعمال هذا الوقف. أمر السلطان كذلك بالعمل الفوري في أمر أوقاف المدينة؛ حيث أمر البندقيين والخشابين والدجاجين في البدء في أعمال البناء مباشرة بعد فض الاجتماع¹⁷⁰. الأمر الأخير هو اجتماع السلطان مع كبار القضاة والأمراء لمشاورتهم في أمر الأوقاف والمبلغ المتبرع به والخطوات المطلوبة لإتمام المشروع وتعيين المسؤول عن الإشراف عليه ومتابعه أعماله. هذا الاجتماع المهم دل على أهمية المشروع الخيري ورغبة السلطان في إنجازه في أسرع وجه وأتمه. كما رغب السلطان أيضاً في مشاركة القضاة والأمراء أخبار أعمال الخير والأوقاف لكي يحفزهم على عمل الخير الشخصي من قبلهم ومساعدة الفقراء. نستطيع أن نتبين هذا الأمر من خلال أمر السلطان بالتبرع بأمواله الخاصة وليس من بيت مال المسلمين، وكأنها رسالة إلى باقي الأمراء تحثهم على التبرع بأموالهم الخاصة في مجال الخير. أخيراً أمر السلطان بإسقاط المكوس في المدينة من أجل التخفيف على الفقراء والمساكين ومحاربة غلاء الأسعار، حيث أراد السلطان معالجة انتشار الفقر إدارياً من خلال قرار إلغاء المكوس وعملياً من خلال إنشاء أوقاف ثابتة للفقراء.

9- مرض السلطان وتبرعاته للفقراء:

جانب من أعمال السلطان الخيرية وتبرعاته بالأموال على الفقراء كانت بسبب رغبته في الشفاء من مرضه الذي أصابه والتقرب لله. شهد عام 891هـ حادثاً أليماً للسلطان؛ حيث انقلب الفرس عليه وهو راكب عليه ما أدى إلى كسر رجل السلطان. انقطع السلطان في القلعة وهو في عناء من شدة الألم عدة أيام. لذلك نرى السلطان يفرق على الفقراء أيام مرضه حوالي ألف دينار، حيث كلف قطب الدين الخيضرى¹⁷¹ بتوزيع هذه الصدقات على المحتاجين¹⁷². تعليقاً على هذا الموقف ذكر السخاوي أن السلطان فرق على بعض الفقراء والصوفية خمسة أصناف

من الأطعمة صدقات في وقت مرضه¹⁷³. كان مرض السلطان خطيراً وتسبب في انقطاعه عن الحكم ومباشرة الأمور بنفسه مدة ثلاثة وخمسين يوماً، حتى بدأ الناس في اليأس من شفائه. لذلك نرى السلطان بدأ بتوزيع تلك الصدقات على الفقراء من أجل كسب دعائهم له والتعجيل بشفائه¹⁷⁴.

10- إبطال المكوس على العامة:

جانب من أعمال السلطان الخيرية كانت إبطاله لبعض المكوس على العامة من أجل تخفيف الأعباء الاقتصادية عليهم¹⁷⁵. فنجد في عام 875هـ يأمر بعقد مجلس بالقلعة ويجتمع مع كبار القضاة الأربع ويشاورهم في أمر إبطال بعض المكوس. أمر السلطان بإبطال عدة مكوس وهي كالتالي (مكس قطينا والخشب والأطرون بالبحيرة)¹⁷⁶. يلاحظ من أمر السلطان الخيري بإبطال بعض المكوس أمران: الأول، توقيت أمر الإبطال والذي صادف أعوام الفتن والحروب مع شاه سوار وكذلك حسن الطويل في بلاد الشام والعراق في عام 875هـ. أراد السلطان من هذا العمل الخيري، والذي كان ضمن أعمال خيرية كثيرة بين أعوام 872 إلى 875هـ التقرب للعامة والله من أجل النصر على أعداء الدولة. ثانياً، اجتماع السلطان في القلعة مع كبار القضاة من أجل إشعارهم بأمر إبطال المكوس بين رغبة السلطان وحرصه على التقرب إلى العلماء والقضاة وإشعارهم بإعماله الخيرية والدعاء له من قبلهم ومن قبل العامة. لربما أراد السلطان من أمر إبطال المكوس التلاحم مع طبقة العامة والعلماء والتخفيف عنهم من أجل دعمه اجتماعياً ودينياً في حروبه ضد أعداء الدولة في بلاد الشام.

خاتمة

تناول هذا البحث دراسة تاريخية لأعمال السلطان قايتباي الخيرية في الفترة من 872هـ إلى 901هـ في كلٍّ من مصر، بلاد الشام، والحجاز. والتي مثلت جانباً مهماً من جوانب حكم السلطان قايتباي وعبرت عن الحالة الاقتصادية والسياسية التي عاشتها البلاد في فترة قايتباي. وكذلك نقلت هذه الأعمال صورة عن حقيقة دوافع هذه الأعمال وتأثيراتها وبينت أحوال العامة اقتصادياً، ودور تلك الأعمال في إحلال السلام الداخلي والديني. خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج من بينها:

أوضحت الدراسة الدلالات السياسية من أعمال السلطان قايتباي الخيرية والتي جاءت محاولة لتخفيف الضغوط الاقتصادية على العامة بعد انتشار الطواعين والأمراض والحروب. بينت الدراسة أن بعض أعمال السلطان قايتباي الخيرية كانت ردة فعل لأحداث خارجية أو داخلية. أوضحت الدراسة أن بعض أعمال السلطان قايتباي الخيرية كانت حلاً لأزمات غير طويلة الأمد من خلال تعاظمه عن محاسبة المسؤولين عن هذه الأزمات.

كشفت الدراسة عن أخطاء بعض المؤرخين في وصف أفعال السلطان بالخيرية، وإنما الصواب أنها ردة فعل لحل أزمة طارئة. بينت الدراسة ارتباط الأعمال الخيرية بالزكاة والتبرع للفقراء والمساكين مع حالات الحرب والانتصار على أعداء الدولة رغبة في التقرب من الله والشكر على النعم والانتصار. أكدت الدراسة رغبة السلطان قايتباي في تطبيق مبدأ التكافل والتضامن الاجتماعي من خلال الصدقات للأرامل واليتامى والفقراء.

أوضحت الدراسة استغلال السلطان قايتباي لرحلاته الخارجية خارج القاهرة من أجل الكشف عن أوضاع الرعية والتبرع بالصدقات والتخفيف على العامة والإشراف على مراحل وبناء ترميم الجوامع والسبل. أوضحت الدراسة أن أعمال السلطان الخيرية في المدينة المنورة دلت على انتشار الفقر انتشاراً كبيراً بين العامة وحاجتهم الماسة للطعام والشراب.

أعمال السلطان الخيرية دلت على رغبته وحرصه على الإشراف المباشر على إنجاز هذه الأعمال بنفسه؛ ما أعطى انطبعا عن بعض رحلات السلطان وسفرائه أنها كانت لغرض الكشف عن استمرارية الأعمال جاهزيتها، والإشراف عليها. أوضحت الدراسة أن معظم الأعمال الخيرية ارتبطت برحلات السلطان ومشاهداته بنفسه؛ ما أعطى انطبعا عن عدم نقل أخبار العامة وأوضاعهم الاقتصادية السيئة ومعاناتهم نقلاً سليماً من قبل الأمراء. تأثير الأزمات الخارجية على أعمال السلطان الخيرية ومبادراته على فعل الخير.

استغلال بعض العامة لزيارات ومواكب السلطان في الأسواق والمدن من أجل عرض احتياجاتهم عليه. تبرعات السلطان وأعماله الخيرية فيما يتعلق ببناء الآبار وصيانتها وصيانة الجوامع دلت على إهمال السلاطين السابقين لأعمال الصيانة والترميم لهذه المنشآت - كذلك دلت هذه الأعمال وخصوصاً تجديد العيون في مكة والمدينة على شح المياه هناك.

دلت تبرعات السلطان على العلماء والفقهاء على العلاقة الوطيدة التي جمعت السلطة السياسية بالسلطة الدينية، وحرص السلطان على تحسين أوضاعهم المالية، ومنعهم من السؤال نظراً لمكانتهم في المجتمع ودورهم الاجتماعي والديني. توصي الدراسة بضرورة إعادة دراسة الجوانب الحضارية والثقافية في فترة السلطان قايتباي وربطها بالتطور الذي شهدته مصر والشام في تلك الفترة.

الهوامش:

- 1- والتي منها على سبيل المثال: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 1994م؛ إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959م؛ قاسم عبده قاسم، الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1995م؛ عبد الرحمن محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.
- 2- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، 2014م؛ محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م؛ شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت: دار العماد، 1992م.
- 3- عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص 205.
- 4- عاشور، العصر المماليكي، ص 6-9.
- 5- محمد بن عبد المعطي الاسحقاني، لطائف اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول، تحقيق: محمد رضوان مهنّا، القاهرة: المطبعة الازهرية المصرية، 2013 م، ج 2، ص 178.
- 6- Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, New York : Forgotten Books, 2014, p 617.
- 7- علي بن عبد الله نور الدين أبو الحسن السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2001م، ج 2، ص 643؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الرياض: دار ابن كثير، 1986م، ج 8، ص 7؛ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ج 1، ص 335؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت: الكتب العلمية، 1993م، ج 1، ص 65.

- 8- إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959 م، ص38؛ عاشور، العصر المماليكي، ص183.
- 9- عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص29-31.
- 10- William Muir, *The Mameluke; or, Slave dynasty of Egypt, 1260-1517, A. D*, London: Nabu Press, 2010, p 170.
- 11- الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الظاهري سلطان الديار المصرية. تولى السلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر عام 825. هو السلطان الثاني والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية، والثامن من الجراكسة، كان من ممالك الظاهر برقوق، توفي عام 841. جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2008م، ج14، ص243.
- 12- السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلاني الظاهري الجركسي. هو الرابع والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية، والعاشر من الجراكسة. تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباي عام 842. كان جقمق من ممالك الظاهر برقوق، توفي عام 857. ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج15، ص258-259.
- 13- شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت: دار الجيل، 1992م، ج6، ص201.
- 14- نجم الدين محمد بن محمد الغزي، *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج1، ص298؛ الحنبلي، *شذرات الذهب*، ج8، ص6.
- 15- هو السلطان الملك العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الشرف برسباي، والذي يعتبر التاسع من ملوك الجراكسة. تسلطن وقت مبايعته في عام 841 هـ وتم عزله من السلطنة في عام 842 هـ. ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج15، ص222.
- 16- ابن إياس، *بدائع الزهور*، ج3، ص3؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج16، ص395؛ عاصم محمد رزق، *خاتقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية*، القاهرة، 1997م، ص685؛ عبد اللطيف إبراهيم، *وثيقة السلطان قايتباي "دراسة وتحليل" المدرسة بالقدس والجامع بغزة*، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1961م، ص391-392.
- 17- السلطان الملك الشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله العلاني الظاهري، ملك الديار المصرية بعد خلع الملك المنصور عثمان عام 857. هو السلطان السادس والثلاثون من ملوك الترك والثاني عشر من ملوك الجراكسة. كان من ممالك الظاهر برقوق وتوفي عام 865 هـ. ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج16، ص58.
- 18- الملك الظاهر خشقدم المؤيدي: هو الظاهر أبو سعيد الرومي الناصر، نسبة لتاجره المؤيدي وكان اشتراه المؤيد وأعتقه، وصار من ممالك السلطان ثم خاصكياً وساقياً وأمير عشرة ثم رئيس نوبة ثم مقدم بدمشق، ورجع إلى القاهرة

على الحجووية الكبرى، وتولى بعدها إمرة السلاح والأتابك، وبيع بالسلطنة سنة 865 هـ ولقب بالظاهر. أنشأ مدرسة وترية بالصحراء وكان غنياً مهاباً ومات سنة 872 هـ ودفن بمدرسته. ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص455؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص175؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص354.

19- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص393.

20- الملك الظاهر أبي نصر بلباي الإيتالي المؤيدي. هو السلطان التاسع والثلاثون من ملوك الترك والرابع عشر من الجراكسة. تولى السلطنة عام 872 هـ وتوفي عام 875 هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص356.

21- السلطان الملك الظاهر أبي سعيد تمرغا الظاهري. هو السلطان الأربعون من ملوك الترك والثاني من الروم، تولى الحكم عام 872 هـ. خلع من الحكم من قبل السلطان قايتباي عام 872 هـ وتوفي في المنفى في دمياط عام 887 هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص127.

22- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص417؛ عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص9-13.

23- السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص206؛ عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: كمال الدين عز الدين علي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1987م، ص143-146؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص324.

24- عاشور، العصر المماليكي، ص182؛ Lane-Poole, A History of Egypt, p 613.

25- ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص393.

26- Carl Petry, **Twilight of Majesty: The Reigns of the Mamluk Sultans Al-Ashraf Qaytbay and Qansuh Al-Ghawri in Egypt**, Seattle: University of Washington press, 1993, p 27.

27- سوار علي دولة: هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دالغادر التركماني ويقال له شاه سوار نائب الأبلستين ومرعش. كان يغير على مناطق تابعة لولاية حلب، فأرسلت السلطنة المملوكية ضده عدة حملات ولم تفلح في القبض عليه، وتمكن الدوادار الكبير يشبك من مهدي من أسره، وقدم به إلى القاهرة وأعدم على باب زويلة بالقاهرة عام 877 هـ. ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص435، ج3، ص14؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ج1، ص194، 32؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص274.

28- Petry, **Twilight of Majesty**, p 30.

29- كان نص ابن إياس "وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الفتن والشرو والأنكاد ما لا يكاد أن يضبط، وقتل فيها من الأمراء والعسكر مالا يحصى، وتولى فيها ثلاثة سلاطين، بل أربعة بخير بك سلطان ليلة.. ووقع فيها غاية الفساد في البلاد الخلبية بسبب عصيان شاه سوار، وقد تقدم ما جرى منه من الضرر في حق العسكر." ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص18.

- 30- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، 2014م، ج3، ص392؛ علي بن داود الصيرفي، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ص50.
- 31- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص11.
- 32- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، نيل الأمل بذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، 2002م، ج6، ص321.
- 33- الحنفي، الروض الباسم، ج3، ص392، 409، 73، Petry, *Twilight of Majesty*.
- 34- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص16-17؛ الحنفي، الروض الباسم، ج3، ص413.
- 35- الحنفي، نيل الأمل، ج6، ص331.
- 36- قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998م، ص153.
- 37- الحنفي، نيل الأمل، ج6، ص331.
- 38- الحنفي، الروض الباسم، ج3، ص413.
- 39- المصدر نفسه، ج3، ص395-396.
- 40- أخبار انتشار الطاعون بين عامي 873 و874 انظر إلى ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص25-31.
- 41- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص30.
- 42- الصيرفي، أنباء الهصر، ص161.
- 43- الحنفي، الروض الباسم، ج4، ص205.
- 44- الصيرفي، أنباء الهصر، ص162.
- 45- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص43.
- 46- الحنفي، نيل الأمل، ج3، ص409-410.
- 47- الصيرفي، أنباء الهصر، ص152.
- 48- المصدر نفسه، ص159.
- 49- المصدر نفسه، ص13-14.
- 50- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص19، 25، 26، 41.
- 51- يشبك من مهدي الظاهري حقمق. تولى كشف الصعيد ومنصب نائب الوجه القبلي في عهد السلطان خشقدم عام 871. تولى منصب الدوادارية الكبرى في عهد السلطان قايتباي عام 872 هـ وعول عليه في كل أمر وصار هو المرجع في أمور الدولة. توجه على رأس حملة عسكرية إلى الرها عام 885 هـ وهزم من قبل جيش يعقوب بن حسن وقتل. السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص341-342.

52- من سياسات الأمير يشبك من مهدي في رفع الأسعار والتلاعب بالسلع، أنه أمر بأن لا يباع القمح بأكثر من اربعمائة للإردب الواحد عام 873 هـ. السبب وراء هذا الأمر لم يكن تخفيفاً على العامة أو النظر في مصالحهم بل نكاية بابن عمر أمير عربان هواره في الوجه القبلي الذي بعث بغلال من القمح لكي تباع في القاهرة، فأراد يشبك أن يخفض أسعار القمح لكي يتضرر ابن عمر. تسبب قرار يشبك في ارتفاع عكسي للأسعار إلى التسعمائة للإردب الواحد من القمح وحصل ضرر على العامة وانتشار لسرقه القمح. تسببت أوامر يشبك في ارتفاع أسعار القمح مجدداً. نرى السلطان لاحقاً يأمر بفتح شونه من أجل تخفيض الأسعار ولكن دون محاسبة المتسبب الحقيقي في رفع أسعار القمح وهو يشبك من مهدي. الحنفي، **الروض الباسم**، ج3، ص36.

53- ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج3، ص42؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج6، ص407؛ الصيرفي، **أنباء الهصر**، ص28؛ **Petry, Twilight of Majesty, p 112**.
54- الحنفي، **الروض الباسم**، ج4، ص198-199.

55- حسن بك بن علي بك بن قرا يلوك عثمان صاحب ديار بكر ووالد أبي النظفر يعقوب صاحب الشرق ويعرف بالطويل. تولى حكم العراقيين وخاض حروب مع بني عثمان ومع السلطنة المملوكية. توفي عام 882 هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج3، ص112-113.

56- السخاوي، **الذيل التام**، ج2، ص262؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج7، ص52-55؛ **Muir, The Mameluke, p 171**.
57- الحنفي، **نيل الأمل**، ج7، ص433-434.

58- أقرت النقود الجديدة وأجبر العامة على استبدال النقود القديمة بالجديدة، ووقع عليهم ضرر بالغ في عملية استبدال النقود؛ حيث كان شراء نقودهم القديمة بأربعة وعشرين درهماً للرطل من قبل أهل دار الضرب، بينما بيعت لهم النقود الجديدة بستة وثلاثين للرطل. وبذلك خسروا الثلث في أموالهم. ابن الصيرفي، **أنباء الهصر**، ص143، **Petry, Twilight of Majesty, p 145**.
59- ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج3، ص238.

60- المصدر نفسه، ص238.

61- شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995م، ج2، ص821.

62- عين عرفات كان أخر تجديد لها عام 716 هـ من قبل الأمير جوبان. السخاوي، **الذيل التام**، ج2، ص243.
63- السخاوي، **الذيل التام**، ج2، ص243؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج3، ص56-57.

64- شاهين الجمالي ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكم، ولد عام 838 هـ وترقى بالمناصب على أن وصل إلى شادية جدة. لاحقاً كان أمير الركب الأول للحج في عام 896 هـ. أشرف على عدد من المباني وأعمال الترميمات التي كلفه بها السلطان في مكة والمدينة. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج3، ص293.

65- السخاوي، **الذيل التام**، ج2، ص243.

- 66- لاحقاً في عام 889 هـ تم الانتهاء من توصيل المياه من عين عرفات الى مردلفة لخدمة الحجاج. السخاوي، الذيل التام، ج2، ص373-374؛ نفسه، وجيز الكلام، ج3، ص950.
- 67- الحنفي، نيل الأمل، ج6، ص437.
- 68- عاشور، العصر المماليكي، ص182.
- 69- السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص811.
- 70- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص279.
- 71- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص232.
- 72- الصبري، أنباء الهصر، ص246؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص317.
- 73- الصبري، أنباء الهصر، ص246-247.
- 74- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص31.
- 75- شمس الدين ابن الزمن: كان مشد العمارة للسلطان بدمشق. هو محمد ابن عمر بن محمد القاهري الشافعي، ويعرف بابن الزمن. ولد سنة 824 هـ بدمشق، ونشأ بها وتعلم علوم عصره. عينه الأشرف قايتباي مشرفاً على العمائر السلطانية في مكة المكرمة، فقام بأعمال عمرانية هامة وأنشأ مدرسة بالقدس وأخرى ببولاق بالقاهرة، مات سنة 897 هـ بالقاهرة. السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص260؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص188؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص41، 59.
- 76- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص207.
- 77- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص31.
- 78- حمزة بن أحمد بن عمر الغربي ابن سباط، صدق الأخبار، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس: جروس برس، 1993م، ص903؛ أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والاقربان، تحقيق: عبد العزيز فياض حروفوش، بيروت: دار النفائس، 2000م، ج1، ص178-179؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص46-47.
- 79- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص343.
- 80- شهد عام 898 هـ أيضاً نزول صاعقة كبيرة على المسجد النبوي وتسببت في إحراق جانب منه. أمر السلطان كذلك بإصلاح وترميم الأضرار التي حلت بالمسجد النبوي. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص294-295؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص299.
- 81- ذكر السخاوي والذي كان مقيماً عام 886 هـ في المدينة الشريفة بأن أعمال الترميم في المسجد النبوي كانت تحت إشراف سنقر الجمالي إلى أن قدم الخوaja الشمس ابن الزمان من القاهرة ومعه الصناع والرجال والمهندسين وأدوات الترميم. ذكر السخاوي بأنه رأى من الخوaja الهمة والإخلاص في العمل. السخاوي، الذيل التام، ج2، ص353.
- 82- السخاوي، وجيز الكلام، ج3، ص948، 928.

- 83- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص188؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص309.
- 84- ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج1، ص187-188.
- 85- أزيك من ططخ الأشرفي الظاهري حقمق. جلبه الخواجا ططخ من بلاد جركس فاشتره الأشراف برسباي عام 841 ثم اشتراه الظاهر حقمق. السلطان حقمق أعتقه ورقاه فعمل ساقيا ثم أمير عشرة في عام 852 هـ ثم رأس نوبة. نفي الى القدس وعزل من جميع مناصبه في سلطة الأشراف اينال إلى عام 861 هـ وعين أمير عشرة واستمر في الترقى الى أن صار أحد المقدمين ثم رأس نوبة النوب في عصر السلطان خشقدم. تولى نيابة دمشق عام 872 هـ في عصر السلطان يلباي. تولى الاتابكية عام 873 هـ في عصر السلطان قايتباي، توفي عام 904 هـ. السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص270-272.
- 86- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص170-190.
- 87- كان محل إنشاء المدرسة في الحصن العتيق عند باب الرحمة واشتملت على شبائيك كثيرة تطل على الحرم وقاعة كبيرة من أربعة أبواب. السخاوي، الذيل التام، ج2، ص365.
- 88- بناء السلطان لتلك المدرسة في الحرم النبوي سبب الخلافات الفقهية بين القضاة. ذلك بأن السلطان أنشأ شبائيك في المدرسة كانت مظلة على الحرم النبوي، فأفتى بعض العلماء بأن ذلك الأمر لا يجوز وذلك بسبب حرمة ﷺ لأن حرمة وهو ميت كحرمة وهو حي. ومن جهة أخرى أفتى بعض العلماء بجواز بناء تلك الشبائيك. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص196.
- 89- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص365.
- 90- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص196.
- 91- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص366.
- 92- ومن شواهد انتشار ظاهرة شح المياه في الحجاز، ذكر البصري بأن الركب الشامي الذي توجه إلى الحجاز في عام 874 هـ حصل لهم شذائد في طرق الذهاب والعودة. شملت هذه المضاعب غلاء السعار وقلة المياه. مما يدل على معاناة أهالي الحجاز من ندرة توفر المياه. علي بن يوسف بن علي بن أحمد البصري، تاريخ البصري، تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٨، ص46-47.
- 93- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص427-428.
- 94- ابن سباط، صدق الأخبار، ص903.
- 95- السخاوي، وجيز الكلام، ج3، ص899.
- 96- شاهين النوري هو الذي كتب المصحف ولكنه مات قبل أن يكمل كتابته، فأمر السلطان الشيخ خطاب بأن يكمل كتابة المصحف والذي انتهى من كتابته عام 888 هـ. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص204.

- 97- من حرص السلطان قايتباي على وصول باب الحديد للحجرة الشريفة وكذلك المصحف الكبير الى المدينة المنورة. أمر عام 888 هـ بأن يرسل الباب والمصحف مع حملة الحاج بقيادة شاد بك وأمر بأن يحمل المصحف على جمل بمفرده. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص204.
- 98- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص355.
- 99- ابو البقاء بن الجيعان كاتب السر بمصر، توفي مقتولاً في عام 902 هـ. الغزي، الكواكب السائرة، ج1، ص121.
- 100- ابو البقاء بن الجيعان كاتب السر بمصر، توفي مقتولاً في عام 902 هـ. الغزي، الكواكب السائرة، ج1، ص121.
- 101- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص63-64.
- 102- السخاوي، الذيل النام، ج2، ص253؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص61.
- 103- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص63.
- 104- الصيرفي، أنباء الهصر، ص338-339.
- 105- المصدر نفسه، ص262.
- 106- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص68.
- 107- المصدر نفسه، ص65-66.
- 108- الصيرفي، أنباء الهصر، ص399.
- 109- Lane-Poole, A History of Egypt, p 617.
- 110- الصيرفي، أنباء الهصر، ص334.
- 111- محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي أبو عبد الله الكافيجي، رومي الأصل. اشتهر بمصر وعرف بكثرته اشتغاله بالكافية في النحو، ولي وظائف منها مشيخة الخانقاه الشيوخية ورياسة الحنفية بمصر. خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، 2002، ج6، ص150.
- 112- سراج الدين العبادي الشافعي المصري، كان من فقهاء الشافعية بمصر وله العديد من المصنفات، توفي عام 894 هـ. الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص227.
- 113- الصيرفي، أنباء الهصر، ص407.
- 114- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص70؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص31؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص423-424.
- 115- من الأمثلة الأخرى التي دلت على تأكيد مبدأ التكافل الاجتماعي، عرض على السلطان في عام 876 هـ قصة رجل فقير رزق أربعة أولاد من بطن واحد، فأمر السلطان بصرف عشرة دنانير وخمسة أراذب قمح على الفقير مساعدة له للتكفل بأولاده. الصيرفي، أنباء الهصر، ص444.
- 116- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص72؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص35.

- 117- السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص863.
- 118- الصيرفي، أنباء الهصر، ص474-475.
- 119- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص285؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص112.
- 120- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص145-146.
- 121- المصدر نفسه، ص166.
- 122- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص10.
- 123- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص160؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص224.
- 124- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص322.
- 125- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص160-161.
- 126- المصدر نفسه، ص161.
- 127- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص252.
- 128- ذكر الحنفي أن السلطان أقر هذه التوسعة الرمضانية عام 876هـ واستمرت مدة عشرين عاماً، ولكن في عام 892هـ نقص الدعم المالي في التوسع بسبب سياسة خشقدم الطواشي التي ظلمت المستفيدين من هذه التوسعة والعمل الخيري من قبل السلطان في رمضان. الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص27-28؛ عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص32.
- 129- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص68-69.
- 130- الشيخ أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرى الحنفي، ولد عام 797هـ كان من علماء الحنفية وتولى مشيخة المدرسة الأشرفية، ومشيخة المدرسة الصرغتمشية، والأيتمشية، والجانبكية. توفي عام 880هـ. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص107.
- 131- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص104.
- 132- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص16.
- 133- الصيرفي، أنباء الهصر، ص327.
- 134- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص16؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص328.
- 135- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص24.
- 136- عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص64.
- 137- الصيرفي، أنباء الهصر، ص473-474.
- 138- يجدر بالذكر أن السلطان قايتباي أبدى رغبته مبكراً في إعادة ترميم وعمارة جامع عمرو بن العاص. يظهر ذلك الأمر بوضوح عند زيارته الجامع عمرو بن العاص عام 876هـ مع بعض خواصه وكشفه عن أحوال وخراب الجامع عن قريب. لكن الأعمال الفعلية لترميم الجامع لم تبدأ إلا في عام 879هـ أي بعد ما يقارب الستين من زيارته الأولى

- للجامع. ولعل الحروب الخارجية مع التركمان في بلاد الشام والعراق كانت سبباً في انشغال السلطان وشغ الأموال في الخزينة بسبب تلك الحروب. الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص18.
- 139- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص99.
- 140- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص108.
- 141- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص112.
- 142- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص146.
- 143- المصدر نفسه، ص178.
- 144- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص127؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص187؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص317.
- 145- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص127.
- 146- اعتاد السلطان قايتباي على السفر إلى العباسية باستمرار، فلا تخلو سنة من سنوات عهده من غير سفرائه ورحلاته المفاجئة إلى العباسية. لعل السلطان أراد الكشف بنفسه على أعمال البناء والمنشآت في تلك الجهات. كذلك رغبة السلطان في ترك إرث حضاري ديني لأعماله الخيرية في مصر وخارج مصر. انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص194.
- 147- يشبك الجمالي ناظر الخاص الجاركي. تولى أمرة الحج أكثر من مرة وتولى منصب الحسبة. السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص276.
- 148- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص149.
- 149- ابن طولون، مفاتيح الخلاص، ج1، ص48؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج1، ص184؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ص902؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص317.
- 150- ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج1، ص184.
- 151- المصدر نفسه، ص154.
- 152- المصدر نفسه، ص165.
- 153- الرها: مدينة حصينة وبها قلعة هامة تقع في شمال بلاد الشام وحالياً في تركيا. ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص13، 237، ج2، ص125؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1995م، ج3، ص106.
- 154- حل الخراب والدمار في جامع الروضة خصوصاً عندما قام الأمير جانبك نائب جدة بضم الجامع إلى مزرعته وجعل مكان الجامع زريبة للبق. الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص252؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص317.
- 155- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص182.

- 156- المصدر نفسه، ص191.
- 157- اكتمل جامع السلطان قايتباي الذي أمر ببنائه في الروضة في عام 896 هـ، حيث جاء بغاية الحسن واشتمل على حلقات علم شهيرة تجمع الوعاظ والعلماء والعامة. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص283.
- 158- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص252.
- 159- المصدر نفسه، ج8، ص11.
- 160- الحنفي، الروض الباسم، ج4، ص203.
- 161- عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص64.
- 162- الصيرفي، أنباء الهصر، ص480-481.
- 163- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص64؛ الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص255.
- 164- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص343.
- 165- المصدر نفسه، ص343.
- 166- السخاوي، وجيز الكلام، ج3، ص938-939.
- 167- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص164-165.
- 168- الحنفي، نيل الأمل، ج7، ص255.
- 169- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص165.
- 170- المصدر نفسه، ص165.
- 171- محمد بن محمد بن عبد الله الخيزري الزبيدي الدمشقي، الحافظ قطب الدين. ولد عام 821 هـ وولي قضاء الشافعية بدمشق وكتابة السر بها وعدة مدارس بدمشق. توفي عام 894 هـ. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتى، بيروت: المكتبة العلمية، ٢٠١٠ م، ج1، ص162.
- 172- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص228.
- 173- السخاوي، الذيل التام، ج2، ص396.
- 174- ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص229؛ الحنفي، نيل الأمل، ج8، ص22.
- 175- عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص46.
- 176- الحنفي، نيل الأمل، ج6، ص430.